

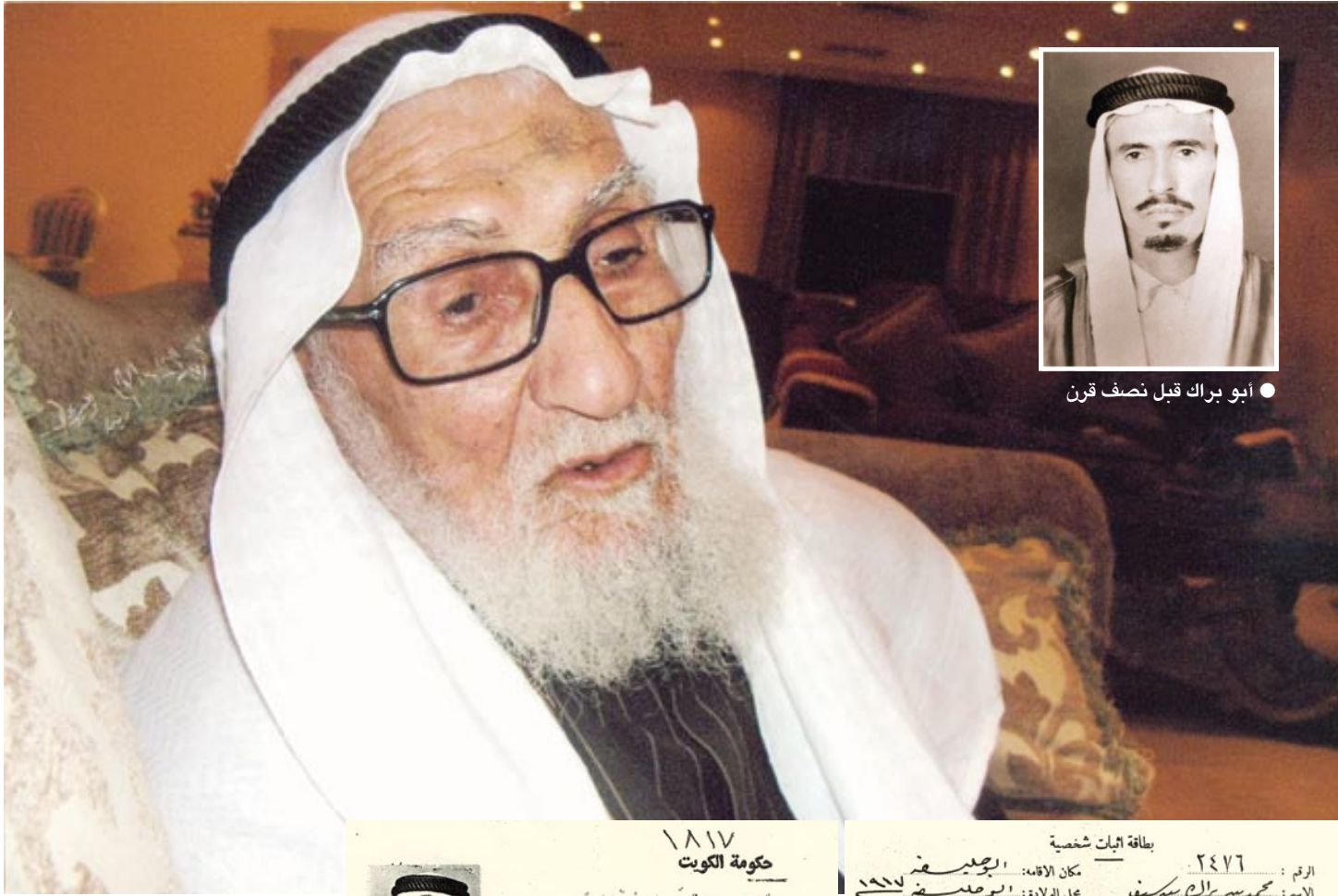
## صفحات من الذاكرة

أجرى الحوار: جاسم عباس

# كفاح ابن التسعين من الصحراء إلى البحر

## محمد البراك: أنا ابن البادية وعملت في الغوص ٢٢ سنة

●● الرعيل الاول في الكويت تخضرموا فترتي ما قبل النفط وما بعده، فقاموا من الاثنتين وذاقوا حلاوتهما، عملوا وجاهدوا وتدرجوا، رجالا ونساء، الى ان حققوا الطموحات او بعضا منه، ومهما اختلفت مهتهم وظروفهم، فإن قاسما مشتركا يجمعهم هو الحنين الى الايام الخوالي، «القبس» شاركت عددا من هؤلاء الافاضل والفاضلات في هذه الاستكناهة●●



● أبو براك قبل نصف قرن

في مستهل لقائنا مع محمد سيف البراك من قبيلة العجمان روى تاريخاً عمره قرن، إذ أن عمره تسعون عاماً وولد سنة ١٩١٧.  
قال: أنا ابن البادية الذي عشق البحر ودخل الغوص ٢٢ عاماً، ولدت قبل معركة الجهراء بثلاث سنوات في بادية الكويت وبالتحديد في منطقة «كرع المرو» شمال الجهراء، وجنوب اللياح، وهي منطقة في طريق القوافل، وفيها مراعي للجمال، وتعني الكلمة كرع الماء أي شرب بفسه أو كرع في الأناء، وأما المرو فهي الحجارة البيضاء التي تفرح بها النار، وقامت عمتي بتربيتي أن والدي توفيت وكان عمري ثلاث سنوات. وفي السكن انتقلت بين الشامية والنفرة والرقاب والفحجيل والمنقف الى ان كان الاستقرار في ابوحليفة حتى يومنا هذا.

### ابن البحر

وتحدث ابو براك عن حياته في البحر منذ ان كان عمره سبع سنوات، حيث عمل تبايا مع والده ثم رضيعاً وسبياً، فقال: عملت مع النواخذة منهم: بداح الصليبي، وفارس الدبوس حوالي اربع سنوات، وحمد بن زوير، وهلال الحزاز من اهل المطبة، والنواخذة يوسف بن عمران، وصفر الجيمان في غوص العدان، وكذلك مع محمد بن طين من اهل الفحجيل، ومع سالم المزين، وابن طويرش، وابراهيم الصلاحي حوالي خمس سنوات، وأما أخي عبد البراك فدخل الغوص مع مجموعة أخرى من النواخذة، ووادي رحمه الله دخل مع خشب (سقيفة) حسين بن علي الرومي، وفارس الدبوس.

واضاف ابو براك: في احدى رحلات الغوص مع ابن الرومي مرض والذي بالسل فعادوا به الى الكويت مع ابوام الماء، وكان غمام الربيعان من الجيران الأوفياء حيث اشترى والذي بيضا نقابل بيته لعمتي بمبلغ ١٥ روبية فكان الربيعان ينقل والذي المريض بالسل على حمار، ويذهب به الى المستشفى الاميركاني لعلاج، لكنه توفي، رحمه الله، ودفن في مقبرة قصر نايف. وذكر بعض القصص عن البحر منها سمعها ومنها شاهدها خاصة عندما ينقص الماء الحلو على ظهر السفينة، في عرض البحر، كان اهل الكويت البحارة يعرفون موقع عين (قميصه) وهو نبع حلو تحت مياه الخليج، وبحرها اربعة، وتقع شمال الجبيل، وجنوب ظهر ابو علي، وكانت مقلقة (برحي) حيث ينزل الغوص معه قرية من جلد البقر، يرفع الرحي وتمتلي القرية بسرعة لقوة دفع الماء، وقبل تفرغها في البرمة والحب تنقى المياه بواسطة قماش لتصفيتها من اعواد اعشاب البر مما يدل الى ان المياه قادمة من الصحراء، ومن القصص التي ذكرها ابو براك، قال: نزلنا عند ساحل (منيفة) للترزود بالماء، وقد منعنا النواخذة ابراهيم الصلاحي النزول لئلا خوفنا من الزواحف، وعند الفجر بدأت اصلي على اليابسة لاحظت تعبياً بين رجلي، واستمرت واقفاً حتى خرج، وهنا صدقت كلام النواخذة، ومن القصص التي لا تنسى كنا نخلط السم بالشراب (وهو حيويا برماني يعيش في الشواطئ الرملية من فصيلة السرطان) ثم ننشره في البحر لصيد السمك وبعد مدة بسيطة نشاهد اعداداً من السمك تطفو على سطح البحر ولا يوجد معنا شيء لحملها وكان عمري ثمان سنوات فقام ابن النواخذة عبد العزيز فارس الدبوس وعمره ١٧ عاماً بسحب ازارى (وزار) ووضع فيه السمك المسموم فاصبحت عارياً تماماً وبقيت في البحر ابكي حتى بعث لي النواخذة وزارا جديداً.

### تبايا - سيب - رضيع

وقد اوضح ابو براك بعض المهن على سفينة الغوص فبدأ باول عمل قام به مع والده وهو في السابعة من العمر، تبايا رتبة تطلق على كل صبي يقوم بمساعدة والده او عمه وخاله، وينتدج الى مرتبة غواص ومن اعماله تحضير الشاي والقهوة والتنظيف ومناولة الالات المهمة للغواصة والسبوت وكنت ابحث في المحار عن السمكتين.

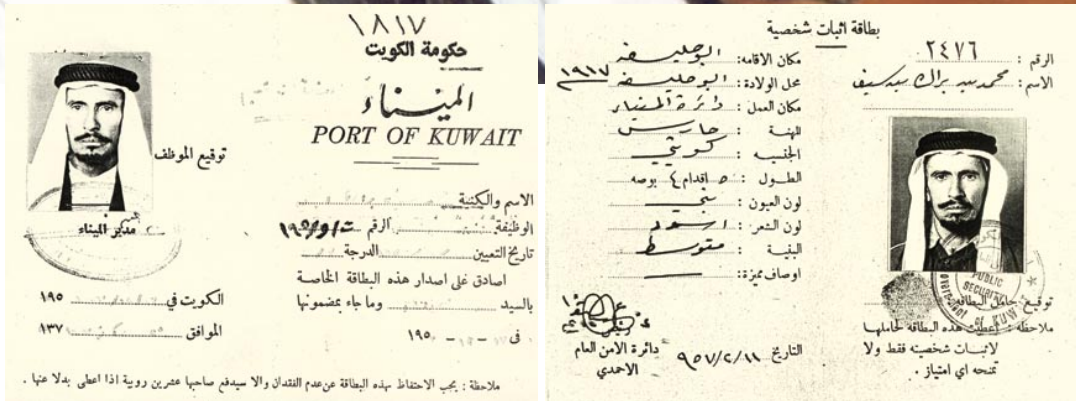
وقال: ثم عملت بسحب الغيص من قاع البحر وانا بيدي حبل النجاة فاذا غلقت تسببت في موته وكنت اخصل على سبهم ويسمى «سبب» وحبل «الجد» واما وهذا العمل يسمى «سبب» وحبل «الجد»، واما الرضيع فمرحلة اعداد من عمره دون الخامسة عشرة يخدم ويساعد السبوت لكي يصيب غواصاً، وكنت اخذ سبها واحداً من اسهم الغوص، وانا المعاضد للغواص لمدة سنتين، ومن هذه السنوات عرفت اسماء اجزاء المحار من الشارب، والكروش، والصرج، والزرز طرف المحار، والدمست، والصحن، والعمر وهو اللحم الثابت على المحار، والبيد، والوجرة، والغب داخلها، واما انواعها فهي: قصمه، ومصفوفة، عيسرين، اصديفي، قائلون... الخ.

### المعالج الشعبي

وتحدث عن الطب الشعبي الذي يشكل ثقافة واعتقاداً واتصالاً، وكان ينطلق من ممارسة وتفسير وافكار واعتماد على الخبرة الشعبية، وهو قادر على التصدي لعلاج الآخرين. فذكر ابو براك المرحومة سارة مبارك المشوط (ام زياب) جدة اولاده من امهم، وقد كانت تولد النساء، وتقوم بالكلي، وتخلع الأسنان، ولديها جهاز بدائي لتسهيل من بعاني الاسماك، وكانت تقوم بذلك من دون اجر ولو وجه الله، وقد حدث ان طلب مني صالح الهندي ان اخذ احد جماعته وهو احمد الحامدي السعدي بعد اصابته (بايو وجه او وجهه) من الحاجة ام زياب المشوط لعلاجها، وقامت المرحومة بكنهه واعطاه حمية لمدة اربعين يوماً، ولكنه نشأ قبل اكمال مدة الحمية، فاعطاني ٤٠ روبية وهو مبلغ كبير في ذلك الوقت لام زياب المعالجة، ولكنها رفضت وارجعت المبلغ قائلة: اعمل لوجه الله.

### معاني أسماء

وتحدث ابو براك عن المناطق التي سكنها وعن معاني اسمائها فبدأ بابي حليفة: جاء الاسم لكثرة بنات الطلاء فيها، كانت من أشهر القرى تقصد في فصل الربيع لم تتفتح به من الخضار والمزارع واعشاب مزهرة، وقام بتدريس اولادها قبل المدارس النظامية المرحوم الشيخ عبدالله العصفور (ابو سعد) وهو اول امام وخطيب في مساجد ابو حليفة.  
وقال اما الفحجيل فسميت لوجود النخل الفحال (الذكر)، وتوفي جدي فيها ودفن هناك، ولا تزال المقبرة



■ مياه «عين قميصه» في قاع البحر تتزود بها سفن الغوص  
■ دخلت الحية بين رجلي..  
■ صلاة الفجر أبعدتها وأنقذتني

عليه على ساحل بر العدان، وكثير منهم تعرض الى مخاطر الغوص والبحر منها: جرحهم بواسطة الجرجور واللخمة، وأسماك سامة كالدجاجه لها اشواك تضرر بها.

### قنص.. ونقع.. ومزارع

كان العم محمد من هواة صيد الغزلان والحباري والارانب في البر، ويعتبر ابو براك من القاصدة الذين يذهبون الى الصيد من شهر نوفمبر وحسب وقته فقال عنه: موسم يمتد الى ابريل وتبقى المدة اياماً وليالي، ومع غيرنا شهوراً ونزج معنا والغزلان والطيور، وكنت اذهب مع زيد النافع واولاده الى الشعب بالقرب من الروصتين ارض بطحة فيها سيل من الماء، وشعب آخر في شمال روضتين فيه مجرى لسيل الاطمار، وشعب آخر ايضا على الحدود السعودية تمر فيه المياه، وغني بنيت الحماميات تاكله الايل.

وذكر اماكن يكثر فيها الفقع في مواسم الاطمار خاصة منطقة الظاهر امتداداً الى المستشفى العسكري حالياً تسمى «ظهر العدان»، وكذلك في مشرف، والبدبية ومن الخبر الكثير كنا نجتمع «فقع الزبيدي، ونترك الخالص، والهبيدي، واما المزارع المشهورة في ابو حليفة فهي مزرعة مبارك الجري، وعبدالله الهندي، وال عمر، ومحمد الحميدي الجمعة، وسعد وخالد الجابر، وكانت تعتمد على الابر، وابو حليفة تكثر الرقي والبطيخ والقرع والطماطم والخيار والطروح، وكانت المزارع من دون حماية (سور) وان كان فمن السعف (جريد النخل).

### سنة البطاقة

واخيرا تحدث عن زواجه في سنة ١٩٤٤ المعروفة عندنا «بسنة البطاقة»، التي كانت توزع المواد الغذائية على الاهالي من عام ١٩٤١ حتى ١٩٤٧ أيام الحرب العالمية الثانية حيث وضعت الدولة قوتها وهيمنتها على الرز والسكر والفحم وبدأ التوزيع بالمراكز المختصة حسب تعداد الأسرة وانتهت مع انتهاء الحرب، وكان الغرض منها تنظيم الإعاشة والكساء، وفي التاريخ الكويتي يذكر من المشهورين الذين قضوا تحبهم في سبيل الكويت.

وقال: وللحق والتاريخ اقول «ان البدوي يمتاز في البحر ومن لا يجيد...» ومن لا يجيد السباحة يذهب الى الغوص، وصل بعضهم الى البحر حتى وقطر وعمان، والإحساء، وحتى في حالة الجزر كانوا يجنون في المحار ويوفقون بالعنور

■ نكرتني عمتي بملابس البنات حتى تحميني أثناء معركة الجهراء  
■ عطست جدة الغانم في قبرها فأخرجوها حية.. ودفنوا جدي مكانها  
■ الحاجة أم زياب كانت تعالج لوجه الله فتولد النساء وتخلع الأسنان وتداوي بالكلي شاركت في بناء مساجد الفحجيل والطنطاس وأبوحليفة..  
■ والشيخ عبدالله الجابركان يحدد لنا القبلة

المواقع بعد توليه الامارة، من دون حرس او مراقبين، وكان معي النافع، والحلمي، ابن نخي والخبيزي.

### من الصحراء إلى البحر

وتذكر ابناء البادية الذين عملوا في الغوص على اللؤلؤ فقال: على ما اذكر كل ١٠٠ غواص منهم لا

مزارع قالح السعدون او القبي في ابو الخصيب وكان معي عماس العتيبي، وهلال الحربي، وابناء عمي فهيد المشوط، وشيب المقيول وابنه محمد، ثم عملت في شركة اولال الهندي للبناء، وعملت في دائرة الانشغال سنة ١٩٤٣، ثم الجمارك والموانئ، وكان المسؤولون عنا هم: جاسم العنجري ومحمد قبايزدة، ومحمد الداود، وعبد الرحمن القبي، وابن صقر السويديان كل على التوالي، وكان الشيخ عبدالله السالم يتفقد العمل في

موجودة على البحر، ويقال ان القبر الذي دفن فيه كان محفوراً قبل اسبوع لدفن المرحومة جدة عائلة الغانم، ولكن حين وضعت في القبر عطست عرفوا انها مازالت حية فأخرجوها، والمنقف قرية غنية بالابر كانت منتجعا للكويتيين، اسم يطلق على صخور بحرية قاهرة في البحر، وهي ساحلية زراعية، والنفرة هي الحفرة التي تتجمع فيها مياه الاطمار، واما المرقاب فهي أعلى منطقة للمراقبة وكانت غنية بالبحر، وكانت تسمى رمادان، كانت موضعا ابار للشرب، والشامية سميت نسبة للقوافل القادمة من الشام والذاهبة اليها.

### مارس الأعمال المتعددة

وعن الاعمال التي مارسها بعد البحر فقد شارك في بناء مساجد الفحجيل، وابوحليفة، والطنطاس، وقيل ان بيده العمل بتأنيهم الشيخ عبدالله الجابري الصباح بشخصه، ويحدد القبلة بواسطة الديرة وهي البوصلة، وفي فصل الشتاء كما قال ابو براك يذهب الى الصحراء لجلب العرفج والخطب من واره وكجد على ظهور الجمال وتباع في ساحة الصفاء، وقال: «ثم تقوم بشراء الرز والتمر والشاي والسكر والقهوة وكان عندي اسمها (ذلول) مشهورة اسمها «الجويخة»، ورثتها من والدي، وعملت في البصرة مراقبا على



● مع الأولاد والأحفاد